Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/vXiX

التركيب الدلالي في تشكيل الصورة الكنائية في شعر ابن الدهان

أ.م. د. زمان عطا نجم

قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة ذي قار

zamanallame@utq.edu.iq

الملخص

يعد الشاعر ابن الدهان من الشعراء الذين انمازت حياته , بضروب من الثقافة, والادب , والشعر, فصور احداث عصره , تصويرا دقيقا صادقا تحدث فيه عن ظروف عصره , السياسية , والاجتماعية , والاقتصادية , وسطر في ضوء ذلك اروع المعاني الشعرية إذ ارتبط شعره , بالحب والسياسة , والمديح؛ فكان شاعرا مجيدا , ولعل ما اثار انتباهنا الصورة الكنائية , المعبرة عن واقعه الذي عاشه , ونظرته المتفائلة؛ ولأجل ذلك التمسنا دراستها , فوسمناه بـ (التركيب الدلالي في تشكيل الصورة الكنائية في شعر ابن الدهان /ت 581هـ), وانتظم البحث بثلاثة مباحث , فكان المبحث الاول : الدلالة الكنائية العامة , تناولنا فيه العمق السياقي للقصيدة وفق المعطيات الثقافية للنص بما يتضمنه من قيم فكرية , واجتماعية , يمكن أن ندركها مباشرة , ومجردة من العوائق الثقافية ,وأما المبحث الثاني : فكان عنوانه الابعاد الحسية في الكناية في ضوء الصفات الحسية التي تحيل الى دلالات اعمق وابعد , وتحدث المبحث الثالث : عن البساطة , والتركيب في البنية الكنائية , عندما يكون المعنى الكامن ورائها واضحا وسهلا ويمكن ادراكه بمجرد فهمها دون تكلف او بحث في معاني الفاظها أما إذا كانت الكناية مركبة فيلجأ الشاعر الى توظيف معاني تحتاج الى تعمق بالفهم لأدراكها , وجاءت الخاتمة لتسجل اهم النتائج التي توصل اليها الباحث.

الكلمات المفتاحية : ابن الدهان ,الصورة الكناية , التركيب الدلالي .

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/vXiX

The semantic structure in the formation of the ecclesiastical image in the poetry of Ibn al-Dahan

Asst. Prof. Dr. Zaman Atta Najm
Arabic Language Department / Faculty of Arts / University of Thi-Qar
zamanallame@utq.edu.iq

Abstract

The poet Ibn Al-Dahan is one of the poets whose life was distinguished by various forms of culture, literature, and poetry. He vividly and accurately depicted the events of his era, addressing its political, social, and economic conditions. Through this, he crafted some of the most exquisite poetic meanings, intertwining his poetry with themes of love, politics, and praise, rendering him an exceptional poet. What particularly captured our attention was the metaphorical imagery that expressed both the reality he lived and his optimistic outlook. For this reason, we sought to study this aspect, titling our research: The Semantic Structure in Forming the Metaphorical Imagery in the Poetry of Ibn Al-Dahan (d. 581 AH)

The research is structured into three sections. The first section, *The General Metaphorical Significance,* examines the contextual depth of the poem based on the cultural dimensions of the text, encompassing intellectual and social values that can be directly perceived, free from cultural barriers. The second section, titled *Sensory Dimensions in Metaphor, explores the sensory qualities that lead to deeper and broader meanings. The third section discusses *Simplicity and Complexity in Metaphorical Structure, focusing on how the implicit meaning behind the metaphor can be straightforward and easily comprehended without effort or linguistic analysis. However, if the metaphor is complex, the poet employs meanings that require deeper understanding to grasp .

Keywords: Ibn Al-Dahan, metaphorical imagery, semantic structure

المقدمة

تعد الكناية فنا من الفنون البيانية التي لا يخلو النص الادبي منها سواء أكان شعرا ام نثرا , يوظفها الشاعر لإيصال المعاني بطريقة غير مباشرة , في ضوء الرموز والإيماءات التي تحمل دلالات اعمق من ظاهر الكلمات , وقد استعملت فيه الالفاظ للإشارة إلى معاني مضمرة , أو قضايا ثقافية أو اجتماعية أو اخلاقية دون التصريح بها, لغايات في نفس الشاعر كأن يريد أن يعطيها معاني اوسع , أو أن يخفي معان لا يريد التصريح بها لسبب ما , ويعد استعمال الكناية دليلا على براعة الشاعر , وقدرته على توظيف اللغة بشكل يجعلها اكثر قدرة في التأثير والتفاعل ,إذ أنها لو وظفت بشكل متقن , تكون أكثر تأثيرا على مشاعر المتلقي وللكناية غاية ينشدها الشاعر للوصول بها إلى هدفه المنشود واداة مساعدة في رسم الشخصيات , ومحاولة لإثارة نفس المتلقي وكسب تعاطفه.

اعتمدنا في دراستنا على ديوان الشاعر ابن الدهان الموصلي ,(ت 521- 581),الذي جمع فيه القصائد , والمقطوعات الشعرية التي انشدها , إذ اعتمدنا فَي هذه الدراسة على المنهج التحلُيلُي , وأدواتنا فَي ذلك التحلُيل , والتفسُير, والمقارنة , والاستقصاء, والاستنتاج .

المبحث الاول

الدلالة الكنائية العامة

تعد الصورة الكنائية , وسيلة لإدراك العمق السياقي للقصيدة وفق المعطيات الثقافية للنص بما يتضمنه من قيم فكرية , واجتماعية , فمن الدلالات الكنائية العامة : هي تلك التي يمكن أن ندركها مباشرة , ومجردة من العوائق الثقافية , فالكنايات تختلف باختلاف البيئات, والعصور , إذ ان الأديب يستمد ثقافته من بيئته , ومن عصره , ومن قيم المجتمع الذي يعيش فيه .

فالشاعر يسلك أذا كنّى عن الممدوح أو وصفه لظاهرة معينة ,مسلكا نابعا من ثقافته , وارثه الاجتماعي فالكناية يحسها عندما تكون الظاهرة معروفة , والدلالة واضحة , لذا فيكون الجمال الفني للكناية هو ترسيخ الدلالة في اذهان المتلقي , وذكر المعاني المتعاضدة مع براهينها , ودلالاتها حتى تترسخ في الأذهان , ومن ذلك قول الشاعر :-

لا يَبخلونَ بزادهم عن سائلٍ عَدَلَ الزمانُ عليهمُ أوْ جَارا

واذا الصَّريخُ دعاهُمُ لِمُلمَّة بَذلوا النُفوسَ وفارقوا الأ عمارا

وإذا زِنادُ الحرب اخْمدَ نارها قَدَحُوا بأَطراف الأَسنَّة نارا

فَمن اسْتَغاثَهمُ إِسْتغاثَ ضراغماً ومَن اسْتماحَهمُ اسْتَماح بحارا (1)

في ضوء هذا المقطع من القصيدة التي بدأها الشاعر بالنفي إذ وثق نفي البخل بجميع صوره عن المقصود بهذا الوصف , قد استعان بصورتين متضادتين واردتين في عجز البيت الأول (عدل الزمان , جور الزمان) والعلاقة حسية بصرية ادراكية ,

ثم تقترب إلى الصورة السمعية في البيت الثاني, تعود بعدها الى صورتها البصرية الادراكية في البيت الثالث , والرابع , فالاختيار لهذه الالتفاتات كان من الحاضنة العربية كالكرم , والجود , ومما لاشك فية إن هذه السمات هي من الصفات التي يتميز بها العربي دون غيره , فضلا عن مميزاته الأخرى , فنفي البخل إنما يشعرن بفيض الكرم , واحتضان السائل , ومن يحتاج إلى مساعدة , وحفظ ماء وجهه , فبذلهم الزاد هي صورة من صور الاباء والايثار سواء اكان في ظلم الزمان لهم او عدله تشعرنا بأبعاد الصورة الدلالية عند الشاعر ابن الدهان , فقد اتى بصورتين متقابلتين واختار لهما (الزاد) صورة ترتقي معها صورته بالبذل والعطاء والايثار , ثم اذا تابعنا ابيات القصيدة فأننا سنجد هذه الصور بأبعادها الحسية جزأ من صفات الممدوح التي تزينها الصورة الحسية السمعية في البيت الثاني إذْ تتميز بكنايتها في بذلوا النفوس وفارقوا الاعمار , اي اقدام يريده الشاعر بل اي صورة كنائية اختارها للممدوح .

فالشاعر سلك هذا المسلك اذْ كنّا عن كرم قومه بأنهم بذلوا زادهم , لسائلهم بأي حال من الاحوال سواء أكان بالرخاء ام بالجور والبؤس , فهم بالحالتين كرام ولاشك ان الكناية تحسن عندما تكون الملازمة معروفة والدلالة واضحة . واذا تأملنا هذه الكناية نجدها كناية عن صفة وجمالها الفني يرسخ مفهومها في نفس المتلقي , وهي تنتقل الى ما بعدها؛((إذ تنساب أنغامها في وجدان الشاعر ألحانا ذات دلالة , وتصقل موهبته النغمية , وتوقظ لديه التلوين الايقاعي الذي يستخدمه , وتخلق فيه الاحساس بجرس الكلمة ونبر اللفظ, وتطبع أذنه بطابع الانتقاء والاختيار)) (2) من قوة هؤلاء القوم وصلابة عزمهم.

وقوله : واذا الصّريخُ دَعاهُمُ لِمُلمَّة بذَلوا النفوسَ وفارقوا الاعمارا

يرمز هذا البيت الى قوة الممدوح وعظمة سخائه . وهذا اثبات , اذ ذكر المعاني مصحوبة بدلالتها وبراهينها كي يرسخا بالأذهان, ويمكن ادراكها بلا عوائق, وهي كناية عن صفة وهذه الصفة ملازمة لهم لا تنفك عنهم وهذا يعطي حياتهم لونا اجتماعيا يحس الأنسان بضرورته .

فاستجابة المستغيث لون من الوان الشجاعة والاباء والاقدام؛ اذ بذلوا اغلى ما يمتلك الانسان وهو نفسه وعمره.

وقدم في البيت الثالث حالة اخرى لهذه الكناية المدركة دلالتها العامة فقد توجه الى عزمهم لمواصلة القتال وتحمل تبعات الحرب التي اوقدوا زنادها , فالكناية في هذا البيت تحمل ملامح خاصة في تركيبها ودلالتها اللغوية , و تتضمن استعمال اللغة الوصفية التي تخلق صورة ذهنية حية للقارئ , تنطوي على توظيف الصفات والاستعارات وغيرها من الدلالات

وقوله : فمن اسْتَغاثَهمُ اسْتغاث ضراغماً ومن اسْتَماحَمُ اسْتماح بحارا

فقد جاءت الصورة الكنائية في هذا النص جلية ومؤكدة تتمتع بجمال التصوير ودقة في التعبير وذلك في قوله: (استغاث ضراغما) ,و (استماح بحارا) ولاسيما حينما عبر عن الاستعانة التي طُلِبت منه فشبههم بالضراغم؛ فكانت كناية عن موصوف, فقد رسم الشاعر صورة الموصوف المتمثلة بالمستعان بهم, فجاءت الكناية عن الشجاعة, والصبر, والصمود؛ اذ غطت هذه الصورة كل خيال الشاعر, واركان فكره .

وقوله : يا مالكي بعوائِد البِرّ وبِذاك تَمْلِكُ ربقْة الحُرّ

أنْصَفتَني والناسُ تَظْلُمُني فَلأَشْكرنَّك آخر الدّهر

مِنَنٌ عَل مِنَن تُتابِعها خَفَّت عَليك وَأَثقلَت ظَهري (3)

في هذه البيات اشارة الى القوة التي يمتلكها الشخص الوفي الخيِّر وصاحب التأثير على الاخرين مهما كانت حالتهم, وهي كناية عن موصوف اراد بها ان يشير الى شخص ذا قوة وسلطان , وهذا نتاج افعاله الحسنه, وصفاته الطيبة, ثم يشير في البيت

الثاني, ويصرح بأن هذا الشخص يملك القبضة, او السلسلة بالرغم من كونه حرا غير مملوك لأخر وهي كناية عن الشخص الحر وكناية ايضا عن الممدوح الذي يعمل الخير لكل الناس باختلاف الوانهم, وان كان الاخر شخص حر غير مملوك ,

فقوله (تملك ربقة الحر) كناية عن السيطرة والقيادة, (والربقة) هي كناية عن التأثر والسيطرة غير المباشرة وهي كناية عن موصوف .

فالكناية في هذه الابيات تتجسد في ايضاح وتصوير السيطرة على المجتمع في ضوء الفعل الحسن اذ يتأثر الاخرين بشكل ملفت وعميق حتى يصبحوا تحت مقوده بالرغم من كونه حرا .

وقوله:

مَولايَ سعدَ الدين دعوةَ آمِلٍ مِن بَحر فَيضِ يَدَيكَ خير مُؤَمِّلِ

إن ارتَحِل بالجِسم عَنكَ فانَّ لي قَلباً أَقامَ لَدَيكَ لَمّا يَرحلِ

أَعدَدتُهُ لِلدَهر أَنفَعَ عُدَّةٍ وَعَليهِ بَعدَ اللهِ فيهِ مُعَوّلي

لَو حارَبَت أَرضٌ سِواها حارَبَت أَرض الشامِ عليه أَرضَ الموصِل

تَشتاقه أَرضُ الشامِ وَأَهلُها شَوقَ العِطاشِ إِلى بَرود المنهَلِ

غَيثُ الفَقيرِ المرمِلِ كهف الغَريبِ المُبتَلى رَدءُ الضَعيفِ الأَعزَل (4)

شكلت الصورة التعبيرية الكنائية في هذه الابيات صورا متناسقة؛ اذ برز المديح جليا في هذه الابيات؛ لذا نجده متألق في صوره الكنائية, اذ كانت الصورة تجسد حالات نفسية وارهاصاتها اذ انفتح هذا النص الشعري على جمالية الصورة الكنائية في تصوير دقيق وبأسلوب التعريض, تبين كرم الممدوح, وسماحته ,وقوله (من بحر فيض يديك خير مؤمل) جاءت صوره الكنائية مكثفة المعاني, ومثيرة ,ومنفتحة على صورة عالية من الجمال ورؤية دقيقة لواقع الكرم اذ شبه كرمه بالبحر الذي يعطي بدون انقطاع او ملل وكرمه لا ينقص منه شيء وهو خير من يكرم ويعطي, ثم لجأ الشاعر الى اتمام الصورة الكنائية بصورة كنائية اخرى في قوله (إن ارتَحِل بالجِسم عَنكَ فانَّ لي قلبا) وهي كناية عن السفر , والابتعاد, ومع ذلك فقد ترك قلبا يعيش في كنف الممدوح لا يفارقه, لفرط حبه, وطمعه بجوده, وهي كناية عن التعلق بالممدوح لطالما انعم بالكرم والجود .

لقد اضفت الصورة الكنائية على هذا النص الشعري اثرها المميز بما جاءت فيه من صور كنائية متوالية.

اما قوله تَشتاقه أَرضُ الشامِ وَأَهلُها شَوقَ العِطاشِ إِلى بَرود المنهَلِ

وهي كناية اختارها الشاعر بدقة, فالألفاظ التي وظفها في هذا البيت تعطينا دلالاتها المباشرة (اشتياق, ارض, اهل, شوق, عطاش, منهل) تتعانق مع ما بعدها من كرم الممدوح, وهذه بمجموعها كناية عن موصوف, ثم تتوالى عبارات (غيث الفقير, كهف الغريب, ردء الضعيف الاعزل) اذْ كنّا عن الممدوح بهذه الصفات النادرة التي تسعف المتلقي في الوصول إلى دلالتها العامة.

وقوله : غَيثُ الفَقيرِ المرمِلِ كهف الغَريبِ المُبتَلى رَدءُ الضَعيفِ الأَعزَل

كناية عن الامل والمساعدة التي يحتاجها الفقير الذي ترمل بعد فقد زوجته اذ يكنّى بالرمل, والثكل, والحزن بسبب وفات الزوجة, فضلا عن حالته الصعبة, وهو ايضا كهف للغريب, وهي كناية عن الانعزال, والانقطاع عن الاخرين.

لقد اضفت الصورة الكنائية على هذا البيت الشعري اثرا مميزا بما توالت فيه من صور كنائية كتبت بدقة وابداع, و نغمة ايقاعية لـ ((يضفي عليه لونا موسيقيا وطابعا نغميا يسهم بشكل كبير في التشكيل الموسيقي للنص الشعري , ومن شأن هذا التشكيل أن يساعد على تلاحم اجزائه بحيث يبدو لحنا واحدا مميزا خاصة إذا امتد إلى عمق النص)) (5) فيترك اثرا مميزا في نفس المتلقي, بما تثيره من معاني حاول الشاعر اظهارها وصرح بها بما يتطلبه المقام وهي كناية عن نسبة؛ لأنه ذكر الموصوف ونسب اليه هذه الصفات مبينا فيها شدة كرمه.

وقوله : في قصيدة اخرى

وَزائِرَةً نَمَّت عَلَيها حُجولُها وَعرفٌ إذا ما كَنَّمَتهُ يَفوح

فَبِتنا جَميعاً مالَنا مِن دنيَّة دَنوٌّ وَلا نَحو الجُناحِ جُنوح

إلى أَن بَدا ضَوءُ الصَباح كَأَنَّهُ سَنا يُوسُفٍ في النَقع حينَ يَلوحُ

صَحيحٌ صَريحٌ مجدُهُ وَفَعالُهُ تَصَدَّق فيهِ المَدحُ وَهوَ صَحيحُ

لَهُ هزَةٌ عِندَ المَدائِحِ لِلنَّدى كَما اِهتَزَّ غُصنُ البان وَهوَ طَموحُ

حييٌّ غَضيضُ الطَرف عَن كُلِّ محرم وَلَكِنَّهُ نَحوَ العَلاءِ طَموحُ

شُجاعٌ لَدى الهَيجا جَبانٌ عَن الخَنى كَريمٌ عَلى العِرض المَصون شَحيحُ (6)

تظهر الصورة الكنائية موهبة الشاعر برؤية انتجها الخيال الذي هيأ لها مقومات اكتمال الصورة , فتأتي الصورة في مفتاح البيت الشعري (وزائرة نمَّت عليها حجولها) وهي محاولتها المشي هوينا بسرية تامة , ولكن هناك من افسد هذا القصد , وهي الحجول التي نمت بصوتها , وتعد كناية عن السير الخفيف الهاديء.

وقوله (فبتنا جميعا مالنا من دنية) كناية عن العفة , والشرف , وعزة النفس , ثم لجأ الشاعر إلى تعضيد الكناية بالتشبيه, إلى أن بدا ضوء الصباح كأنه سنا يوسف في النقع حين يلوح فقد اضاف التشبيه صورة حسية على الصورة الكنائية؛ إذ الاحساس بما اختلجت به نفس الشاعر تحتاج إلى وضوح في صميم الحياة العربية , وعفتها , فلجأ إلى التشبيه , مع تكوين تجمعات صوتية متماثلة , تمثلت بصوت حرف الصاد في(صحيح , صريح تصدّق, صحح) اضاف ايقاعا داخليا , ساهم في انتاج الدلالة , التي ارادها الشاعر أن تكون مركزا في بناء القصيدة؛ إذ أن ((الاصوات غنية بالقيم الترابطية والتعبيرية التي يستطيع الفنان استغلالها))(7) وقوله لَهُ هزَةٌ عِندَ المَدائِحِ لِلنَّدى كَما اِهتَزَّ غُصنُ البان وَهوَ طَموح , وهي كناية عن الفرح والبهجة والانتشاء والتطلع نحو العلا وتحسين الذات , فضلا عن ذلك فقد وظف التشبيه لإيصال المعنى العميق وهذا التوظيف له معنى دلاليا , فغصن البان عندما يهتز يكون في حالة من النعومة , والانسيابية فضلا عن ذلك يسعى نحو السماء علوا ورفعة .

وقوله:

سَقاها اللهُ مَنزِلَةً وَحَيا طَوَينا بَعدَها اللَذاتِ طَيّا

وَأَياماً بِقُربِكُمُ تَقَضَّت كَأَنَّ العَيشَ فيها كانَ فَيّا

أَرى عِندَ الرياح لَكُم حَديثاً أُواجِهُها فَتُمليهِ عَليّا

أَغارُ إِذا الغُصونُ صَغَت اليَها مَخافَةَ أَن سَتَحكي مِنهُ شَيّا

إِذا هَبَّت أُحمِّلُها زَفيراً فَيَرجِعُ وَقرُها طيباً وَرَيّا

كَأَنَّ بِها حِذاراً مِن رَقيب فَتَسري خيفَةً لَيلاً اليّا (8)

في البيت الاول كناية عن طلب الخير , والبركة للمكان إذْ أن السقاية في هذا الموضع لها دلالة اللطف الالهي , فعضدها بكناية أخرى بلفظ (المنزلة) التي تفصح عن المكان العالي , والرفعة , وهي مما يتمناه الشاعر للممدوح , ثم اتبعها بكناية أخرى في قوله (طوينا بعدها اللذات طيا) إذ ان الشاعر قد غادر المكان , وهو بذلك قد كشف الكنايات ليصل إلى المعنى المقصود , بتركه ملذات الدنيا الزائلة , والسعي نحو معاني اسمى واكثر وضوحا , ومافتيء أن ذكر ايامه بما فيها من رغد العيش , والاستقرار النفسي , فشبهه أيامه التي عاشها بقرب الممدوح (بالفيء) , كناية عن الغنيمة .

كل هذه الكنايات تحمل دلالات الشعور بالاسى , والم الفراق , والذكريات الجميلة , فضلا عن التنغيم الموسيقي الذي تتحلى به ابيات القصيدة , وما له من دلالات مؤثرة على الألم الذي ضاق به فؤاده , إذ تعطي مؤشرات نفسية , وحالة من عدم الاستقرار . ويأتي البيت الأخير يحمل ايحاء , وشعور النغمة المتكررة التي ترسخت في نفس الشاعر؛ بعد أن فتحت أداة التشبيه (كأنَّ) باب التخييل لدى الممدوح , كي يتصور ذلك الجو المشحون بالحزن إذّ أن ((أكثر اشكال التشبيه دورانا في الشعر , واعظمها قدرا من الشاعرية والبلاغة , ليس على وجه التحديد ذلك التشبيه الذي أطلق عليه البلاغيون القدماء (التشبيه البليغ) الذي تحذف منه الاداة فيصبح من الوجهة المنطقية اقرب إلى الاستعارة وادخل في المجاز , وانما هو الذي تستخدم فيه كأنَّ لما تقيمه من تخييل وتنهض به من صور قيمة)) (9) وفي ضوء ما القى به التشبيه من صورة بلاغية , ندرك ان الشاعر يلجأ إلى أن يحول حلمه إلى واقع , فيتنفس الرياح عند هبوبها , فيحملها زفيرا ثم يرجعها فيضعها في مكانها الحسن الطيب بعد أن ملأ نضارة , وجمال.

المبحث الثاني

الابعاد الحسية في الكناية:

تلجأ الصورة الكنائية إلى المحسوسات في أكثر حالاتها , وتسعى إلى التعمق في ايجاد ابعاد حسية أخرى وظفها الشاعر في القصيدة , فالألفاظ التي يأتي بها الشاعر تعطينا دلالات مباشرة, فيعرض لنا مجموعة المن الصفات الحسية التي تحيل الى دلالات اعمق وابعد فالشاعر يقسمها لنا على مرحلتين

الاولى: تبصرها عين الموصوف المتمرد المتأثر بمحيطه الذي يعيش فيه من الترف والزهو

الثانية: هي الحقيقة التي يكشفها لنا الواقع

نطالع المقطوعة الشعرية من ابيات ابن الدهان التي يقول فيها:

كَم بَينَ أَجفانِكِ مِن صارِم يسُلُّه اللَحظُ عَلى الهائِمِ

يا ظالِماً حَكَّمتُه فِاعتَدى اليكَ أَشكو مِنكَ يا ظالِمي

ما أَبعَدَ المَظلومَ مِن حَقِّهِ إِن كانتِ الدَعوى عَلى الحاكِمِ

لم أَدرِ مِن أَينَ دَهاني الهَوى وَجار بي عَن خَطِّهِ السالِمِ

مِن طَرفِكَ الأَكحَلِ أَم ثَغ رِكَ الباسِمِ أَم مِن شعرك الفاحِمِ (10)

في هذا المقطع تطالعنا الالفاظ (اجفانك, صارم, اللحظ, الهائم, اعتدى , دهاني الهوى, خطه السالم, الاكحل, ثغرك الباسم, شعرك الفاحم) وهي تخرج من جعبته وقريحته الشعرية بوصفها كناية عن شدة تأثره, وهيامه بالعيون التي بين اجفان معشوقه, وكأنها سيوف حادة, وهي لمحة رمزية وظفها الشاعر يريد بها قوة العين التي تسلطت عليه فأثرت به وبقوة.

ولاشك ان لتكرار حرف (الظاء) في القصيدة لأربع مرات كان له الاثر في ايضاح المعنى الذي اراده الشاعر, فمنه نسمع صوت انين ونه نسمع , ونرى حرقة الحسرات؛ اذ ان هذه الكنايات استفادت من المعطيات الحسية المرئية, ومما لاشك فيه ان للجانب الصوتي دور مهم للدلالة , اذ ((يكتسب الصوت في دخوله الشعرية قيمة ايقاعية مضافة من خلال الفعاليات التي تنهض بها مجموعة الاصوات المتجانسة , والمتناثرة , وهي تؤلف موجات تقارب قيم دلالية معينة؛ لأنه لا يمكن بأي حال من الاحوال اقصاد المفردة الشعرية عن محتواها الدلالي , واذا كانت هذه العلاقة يكتنفها الكثير من الغموض والسرية في صورتها المجردة غير الشعرية فانها في الشعر تتجلى بكامل قوتها وعطائها , اذ ان للشعر قوته في كشف سرية العلاقة وابانة غموض آلية التوصيل بين معنى الصوت وصوت المعنى فيها)) (11)

ونستمع ايضا الى قوله متغزلا , ومتكأ على الصورة البيانية الكنائية قوله:

غُصنٌ تَميسُ بِهِ الصبا وَيُعينُها مَرحُ الصِبا فَيَميلُ ليناً قَدُّهُ
لا غَروَ إن جَرحَ القُلوبَ بلحظه أَنَّ الحُسامَ كَذاكَ يَفعَلُ حَدُّهُ
وَيغُرُّكَ الضَعفُ الَّذي في جَفنه وَالسَيفُ يَقطَعُ نَصلُهُ لا غِمدُهُ
يُشفي غَليلي رَشفُ بَردِ رضابِه وَيَزيدُني ظَمأٌ إِلَيهِ ووردهُ
غَضبان يَقصدُ ذِلَّتي وَأَعزهُ أَبَداً وَيعشَقُ قتلتي وَأَودُّهُ
يا مَن يُصَوِّرُ كُلَّ شَيء هَيِّن إِلّا تَعَتُّبُهُ عَليَّ وَصَدُّهُ
وَلَئِن وَفا إِن خُنتُ دَمعي مُسعداً فَلِمِثل هَذا اليَوم كُنتُ أُعِدُّهُ (12)

لقد شكلت جمالية التعبير الكنائي في هذه القصيدة صور جميلة, فقد جاءت الصورة الكنائية جلية, ومؤكدة تتمخض عن جمال في التصوير, ودقة في التعبير , اذ كنى حبيبته بصورة رائعة, وهي تتمايل, وتتبختر في مشيتها بالغصن الذي تهزه الريح يمينا وشمالا , فقد استعان بالتشبيه البليغ ليظهر الصفات الحسية التي يتمتع بها الحبيب دون غيره , بادعاء ان المشبه هو عينه المشبه به ((وجملة المعاني التي يخوض فيها شعراء التغزل المعنوي تدور حول صدق الحبيب...وانه يلقى العناء كل العناء في سبيل هذا الحب , ومع ذلك يصبر لعل الأيام تنيله مطلوبه))(13) ولهذا يتصف بقوة المبالغة , ويستمر الشاعر برسم الصورة الكنائية في البيت الثاني.

لا غَروَ إن جَرحَ القُلوبَ بلحظه أَنَّ الحُسامَ كَذاكَ يَفعَلُ حَدُّهُ

فقد جاءت الكنايات متوالية , وهو شيء من الإسقاطات النفسية التي يعاني منها , والتي شكلت , هما , وهياما فقد ادرك إنه لا عجب أن يقتل بطرف إذا نظر إليه , ثم ذهب إلى توكيد الكناية , وترسيخها إذْ شبهها بطرف السيف إذ احدث جرحا كفعل طرف العين , فتبرز جمالية الكناية بهذا التشبيه , ثم يلتفت بعدها إلى كناية حسية , ترتبط ارتباطا وثيقا بالكناية السابقة , ومكملة للمعنى في قولة:

وَيغُرُّكَ الضَعفُ الَّذي في جَفنه وَالسَيفُ يَقطَعُ نَصلُهُ لا غِمدُهُ

وهي كناية عن فتور العين كأنها ناعسة؛ لجمال صورتها , فما زاده هذا المنظر الّا هياما فتوقدت في نفسة نار الجوى , فذهب إلى تشبيهه بالسيف الذي بات في غمده بالرغم من توقد نصله , إذ ((يقتضي التشكيل الغزلي الذي يتخذ من المرأة موضوعا شعريا لغة شعرية مشحونة بالإدراك الحسي تتشربها العاطفة ويواكبها الوجدان , وتنتظم تراكيبها وبناها الاسلوبية في اطر جمالية يغلب عليها الطابع الوصفي ؛ للإحاطة بأحوالها بتجلية بواعثها وإظهار مآلاتها التي تستدعي تفعيل المدرك الحسي))(14) فقد كان للسياق , ومكوناته أثرا في توجيه الكنايات لإكمال الصورة الكنائية الحسية , فوجدها في البيت الرابع:

يُشفي غَليلي رَشفُ بَردِ رِضابهِ وَيَزيدُني ظَمأً إِلَيهِ وورده

في هذا البيت كناية عن هدوء النفس بعد حصولها على مرادها , أما في عجز البيت تشعر أن هناك حالة متناقضة بالرغم من راحته , وشفاءه إلّا انه يثير مزيدا من الشوق , والعطش , فزاد تعلقه .وقوله في البيت الخامس ,

غَضبان يَقصدُ ذِلَّتي وَأَعزهُ أَبَداً وَيعشَقُ قتلتي وَأَودُّهُ

في هذا البيت يتناقض الشاعر مع نفسة , كنى في صدر البيت عن الجفاء, والصدود , والمعانات , وفي عجز البيت كنى عن الخضوع , والهيام , وهي دلالة الصراع الداخلي الذي يعيشه الشاعر , بين الراحة , والالم , وبين البؤس والحنين , إذ أن هذه الصور جميها تتعلق بالحواس .

وفي ضوء هذه الكنايات الحسية ندرك , إن الشاعر قد وظفها لغايات تختلج في نفسه , فنطق لسانه بها .

وقوله: وَبالجَرع رَسمٌ مِثلُ جِسميَ شاحِبُ يَدعو الصَبابَةَ صَمتُهُ فَتُجاوِبُ

أُزجي إِلَيهِ عبرةً هيَ في الجَوى ظِلٌّ وَفي الظَلَلِ المَحيل سَحائِبُ

وَأَزورُهُ فَرداً مَخافَةَ لائِمٍ أَو غيره مِن أَن يُساعِدَ صاحِبُ

دِمَنٌ رأَيتُ البين صاحَ غُرابُهُ في بَينها فَعَلِمتُ مَن هُوَ سالِب

وَعلِمتُ مُذ طَلَعت شُموسُ حُمولِهُ في سُحبِ دَمعي أَنَّهُنَّ غَوارِب

سِيّانَ نَومي في هَواكَ وَيَقظَتي وَمعَ الخَواطِءِ سَهمُ حَتفٍ صائِب

وبخيلة بالوصل لو سَمَحتْ به لَعَدتْ صوارمُ دونَه وقواضِب (15)

في البيت الأول من هذه القصيدة , كناية حسية بدلالة (الجرع) التي تفضي إلى الطعم المر , ودلالة الألم , والحزن , ومن أثر ذلك تحول وجهه شاحبا , نلحظ إن هناك ومضة بيانية , وظفها الشاعر عندما شبه رسم الجرع الذي تجرعه , بالجسم المريض الشاحب , وهي ايضا كناية عن الضعف , والدنف ,اي إن وهناك اسقاطات نفسية , وثورة في نفس الشاعر , تؤطرها الصبابة , والشوق , والعاطفة ثم يفاجئنا صمت تجاوب مع الصبابة , أي أن الشاعر في حالة حوار مع ذاته قطباه , مشاعره الصامته , وشوقه . أما في البيت الثاني :

أُزجي إِلَيهِ عبرةً هيَ في الجَوى ظِلٌّ وَفي الظَلَلِ المَحيل سَحائِبُ

يعاني الشاعر حالة من حالات الارهاصات النفسية , التي تمخض عنها عمق من الشوق , والصبابة , وهي بحد ذاتها كناية عن الحبيب , وعن الشوق , والجوى , ثم لجأ إلى ذكر معنى اعمق مستعينا بالكناية الحسية (دمن) في البيت الرابع , كناية عن الدموع وآثار الحزن , والشؤم , بان عنده من سلب قلبه عندما سمع صوت الغراب , فعلم إنه رمز الفراق , وبداية مرحلة جديدة من مراحل حياته , فالبيت بشكل عام , هو إيماءآت تنبأ عن الحزن , والفراق , ويطالعنا ابن الدهان , بصورة كنائية جميلة أخرى , معبرة عن جمال , وجزالة الاسلوب , وبراعة في التصوير, مع كثافة في المعنى , إذْ قال:

وَعلِمتُ مُذ طَلَعت شُموسُ حُمولِهُ في سُحبِ دَمعي أَنَّهُنَّ غَوارِب

ان الادراك الحسي في هذا البيت يلمحه المتلقي من مطلعه (علمت) , فأكده الشاعر بالصورة الكنائية المتمثلة في قوله (طلعت شموس حمولهم) التي ترمز إلى الاشراق , وكثافة النور , إذْ منحها الشاعر بعدا في جمال التصوير , ودقة في التعبير , عندما عمد إلى تصوير الواقع بأبهى الصور , فجمع بين جمال الكناية , وقساوة المنظر , في رؤيا ملؤها الالم , والحسرة على

اولئك الراحلين , ثم عضدها بكناية أخرى في قوله (في سُحبِ دَمعي أَنَّهُنَّ غَوارِب), وهي كناية عن الحزن , وكثرة الدموع التي تتجمع كرد فعل لمشاعر الحزن , والألم , وفي السطر نفسة كناية اخرى (أَنَّهُنَّ غَوارِب) وهي كناية عن المسير باتجاه الغرب , والغياب الابدي , ونستطيع القول أن الشاعر يبتغي الافصاح عن ضعفه , وعدم قدرته على أن يحدث شيئا يغير كبوته . وهذه الكنايات المثيرة تصور حالات نفسية مختلفة مرتبطة بطبيعة النفس الانسانية , فهي تنقل المعنى الذهني إلى صورة حسية فيها الكثير من الدلالات , تتولد بعضها من بعض فتكون اقرب إلى النفس بجمالها , فضلا عن انها تعطي المتلقي كثير من المعاني الدلالية , ومن ذلك قوله :

سِيّانَ نَومي في هَواكَ وَيَقظَتي وَمعَ الخَواطِيءِ سَهمُ حَتفٍ صائِب

في هذا البيت كنايتان حسيتان الأولى في قوله: (سيان نومي في هواك ويقظتي) , وهي تفضي إلى قلق الشاعر , وعدم استقراره فقد تساوى عنده الألم في اليقظة , والمنام ومن جماليات الكناية في هذا البيت انها تأتي متتابعة , ومتلازمة يكمل بعضها بعضا؛ إذ انها من واقع الشاعر , وقد تسيد فيها الرمز محاكيا واقع الشاعر مصورا حاله بصيغته الذهنية , فيستشعرها المتلقي بوجدانه , واحاسيسه ثم انتقل هذا الشعور الذهني إلى الاطار النفسي , في قوله (ومن الخواطيء سهم حتف صائب) ولدت صورة كنائية , رسخت حزنه , والمه فكنى بها عن لفظة (صائب) إذْ دلت على ارتباك حالته النفسية , وعظم لوعته, وهناك تقابل ضدي بين (النوم),و(اليقظة) تمثل بأحلام النوم المزعجة , ويقظته .

ويمضي ابن الدهان بكناياته إذْ يقول:

وبخيلة بالوصل لو سَمَحتْ به لَعَدتْ صوارمُ دونَه وقواضِب

مهد الشاعر للصورة الكنائية , بما يختلج في نفسة من معانات ؛ سببها البعد عن الحبيب , فلجأ إلى التحدي لمواجهة محنته , وإن كانت هناك موانع , كالصوارم , والقواضب , وهي من الكنايات الحسية التي وظف لها تكرار صوت الصاد مرتين , واعقبه بصوت الضاد في عجز البيت ,((فعلى حين ان النبر والتفخيم في اللغة العربية سمتان غير تمييزية في اللغة , يصبح لها تأثير مضاف , وتسهم في توكيد الدلالات , وزيادة الايحاء , وكشف مسارب الشعور والانفعالات)) (16) فاحدث بذلك تنغيما , وتوكيدا للصورة الكنائية .

المبحث الثالث

البساطة والتركيب في البنية الكنائية

في كثير من الاحيان تكون الكناية بسيطة ويكون المعنى الكامن ورائها واضحا وسهلا ويمكن ادراكه بمجرد فهمها دون تكلف او بحث في معاني الفاظها ,إذ ((اننا لا نفكر- ابدا – في الصوتية منفصلة عن المعنى ,بل نفكر في المعنى من خلال مستويات متعددة تتجاوب تجاوبا لا يسمح بالتمييز بينها , ولايسمح بالتفكير فيها منفصلة عن غيرها))(17) ويذهب بها الشاعر

الى معاني مألوفة وشائعة , ومن جهة اخرى تكون الكناية مركبة عندما يلجئ الكاتب الى توظيف معاني تحتاج الى تعمق بالفهم لأدراكها؛ لأن الشاعر وظف فيها اكثر من عنصر فكان المعنى الكامن ورائها غير مباشر , والعلاقة بين اللفظ والمعنى غير واضحة بشكل مباشر, فتحتاج الى تبسيط في ضوء السياق

كقول الشاعر بن الدهان:

طَرفُ المحبّ مُوكَّلٌ بِعَذابِهِ لا تَعذِلوهُ فَتأثموا بِعِتابِهِ

كَبِدٌ تعاوَرها الغَرامُ فَأَصبحت زَفَراتُهُ قَد تَرجَمَت عَمّا بِهِ

وَجرت عليهِ نَوائِبٌ مِن دَهرِهِ وَأَشدُّها فيه قِلى أَحبابِهِ

شابَت لِما تَلقاهُ قُذَّةُ صَبرِهِ وَغَرامُهُ في عُنفُوانِ شَبابِهِ

فَكأَنَّ داعيةَ الهَوى في جِسمِهِ سَيفٌ يُقَطِّعه بحدِّ ذُبابِهِ(18)

فقوله (طَرفُ المحبّ مُوكَّلٌ بِعَذابِهِ لا تَعذِلوهُ فَتأثموا بِعِتابِهِ) كناية بسيطة ومفهومة كون الحب من طرف واحد , وهو شعور بالافتنان والانجذاب الى شخص ما , ويقابله لا مبالاة , وعدم اهتمام من الاخر فهو يتأمل ان ينتبه له فيبادله الشعور نفسه , فالكناية في هذا البيت واضحة لا تحتاج الى عناية وتركيز لأدراكها , وقوله (كَبِدٌ تعاوَرها الغَرامُ فَأَصبحت زَفَراتُهُ قَد تَرجَمَت عَمّا بِهِ) كناية عن تداول الغرام في نفسه , وهبوبه بقساوة على قلبه ثم اكدها بكناية اخرى في عجز البيت اذ يقول (زَفَراتُهُ قَد تَرجَمَت عَمّا بِهِ) وهي الاخر كناية مفهومة وواضحة اذ اراد بها شدة همومه وسرعة دقات قلبه , وسرعة زفراته .

لقد انفتح هذا النص الشعري على جمالية الصورة الكنائية في تصوير بليغ ودقيق بأسلوب بسيط تبين حجم معاناته حتى افضى به الحال الى ان يبوح بمعاناته ويترجمه بالزفرات التي اصبحت دلالة واضحة عن كبر معاناته وتفاقم آلامه ولعل البيت الثالث اكثر حدة في معنى الكناية (وَجرت عليهِ نَوائِبٌ مِن دَهرِهِ وَأَشدُّها فيه قِلى أَحبابِهِ) فالعبارة اللغوية (قلى احبابه) تشكل كناية ظاهرها هو هذا المشهد الحسي سواء اكان في المحبوب وهو يصارع الهموم والنوائب والدهر , او في ردود افعال احبابه وبغضهم بدلالة (قلى احبابه) اما ما ورائه فذلك هو حجم العشق , والهيام , ودوامة النفسية تعصف به فلم تبقي من جسمه شيء لكننا نلحظ عبارة (قذة صبره) (عنفوان شبابه) تدلل على التماسك النفسي , والمكابرة على تحمل الاذى الذي لا يخفى.

ان هذا الازدواج في التعبير يغني القارئ عن الغوص في تجربة الشاعر ولعل هذا التتابع في الكناية والدلالة هي السبب في هذا الاسلوب وقوله :

فَكأَنَّ داعيةَ الهَوى في جِسمِهِ سَيفٌ يُقَطِّعه بحدِّ ذُبابِهِ

لقد ارتكز هذا البيت على الصورة التشبيهية الذي يمتد ليشكل بعدا كنائيا ,ذا نغمة ايقاعية((يشبه مقدمة موسيقية خفيفة قصيرة تلهب إحساسنا))(19) فالمشهد لم يكن جميلا وانما تشكل من تعاضد جزيئات؛ هي التي اسهمت في تشكيله كقوة السيف , وحدة ذبابه تعاضدا معاً في تكوين الصورة الكنائية , وهذا يشير الى عمق الدلالة , ودور المشابهة , اذ تم تشبيه تأثير الهوى على الجسم بالسيف ولم يذكر التشبيه بشكل مباشر, فنحى بها نحو الاستعارة التصريحية التي ساهمت في ابراز قوة تأثير الهوى على المحبوب فأصبحت صورة كنائية مركبة .وقوله:

وَأَبلَـج مَعسـولِ الشـمائِل مـا جـدٍ خَلائِقُـه تُسـلي عَـن المَنِّ وَالسلوى

يَهشُّ إِلـى العافي اِرتياحاً الى النَدى فَلا عُنُـقٌ يُلـوى وَلا حـاجِبٌ يُـزوى

شـرَى المَدحَ مِنّـي وَالمَوَدَّة وَالهَوى فَتىً مـالَهُ فـي النـاسِ مِثلٌ وَلا شروى

أَقَـرَّ لَـه بِالفَضـل شـانيه راغِمـاً مَتّـى يسـبِقِ الاجمـاعُ تتحِد الفَتوى(20)

افتتح البيت الاول بصورة حسية بصرية , وهي (ابلج) , وصورة حسية ذوقية هي(معسول) , وقد ادت الصورتان الحسيتان دورا تكثيفيا في اجمل المعنى المنشود, والذي اراد به كنائيا ,يدل على الكرم والاشراق في الطلعة وحسن الشمائل , وهي كناية تتميز بالبساطة, ووضوح الفاظها , وكناية اخرى في قوله (فَلا عُنُـقٌ يُلـوى وَلا حـاجِبٌ يُـزوى) وقد تمثلت بها معنويات الجود والكرم , والسماحة , والندى وفي البيت الثالث كناية واضحة في (شرى المدح) على ان جوده وكرمه ماضيان في الناس , في هذا البيت ندرك الكناية بدون تكلف فهي واضحة وبسيطة مع ما بها من عمق في المعنى , واطار بديعي, اذ وظف اسلوب التصدير , فأرجع فيه العجز على الصدر وقوله:

ردفُ الأَكارِم في مَدى بَذلِ النَدى وَجَزى فَكانَ السابِقَ المُتأَخِّرا

وَفَتىً اذا عَدوا السِنينَ فانَّهُم عدوا السنى فَكانَ الأَكبَرا

كسبَ المَكارِمَ فاكتَساها لابِساً مُلكاً وَكانَت تُستَعارُ وَتُشتَرى

في وَجهِهِ اِجتَمَعَ الجَمالُ وَسَيفُهُ حَتفٌ وَكَفُّهُ غَيث الوَرى

ما حَلَّ رَبعَ المحلِ أَغبرَ قاتِماً إِلّا وَأَصبَحَ مِن نَداهُ أَخضَرا

أَو سَلَّ يَومَ الرَوع أَبيضَ صارِماً إِلّا وَعادَ مِن الأَعادي أَحمَرا(21)

تجلى جمال الكناية بما تحمله من معانٍ دقيقة تنم عن شعور فاق التصور جاءت معانيه في صوت مليء بالثقة, إذ ((يستطيع الشاعر الافادة من هذه القيم الصوتية من اجل التأثير في جمهور المتلقين عن طريق رفع الصوت وخفضه بشكل يراعي تقوية المقطع أو ارخاءه))(22) والاتقان متأطر بالصدق , فوصف ذاك البطل وقد احتضنته تلك الصور الكنائية التي عبر عنها بصوت مسموع , فوصفه بالكرم والبذل والعطاء فمن يبذل الكرم يصير سابقا بالعطاء, ذلك الضرغام الذي استدل الشاعر على كناياته بتوظيف التضاد بين لفظتي (السابق , المتأخر) ليكون ايقاعا , وبدوره يؤلف نغمة موسيقية تتلاءم مع غرض الشاعر , وتوفر جوا كنائيا يرسخ في ضوءها معنى القصيدة ويؤلف جوا ادراكيا للمتلقي للتفاعل مع جو القصيدة

وما زلنا في صور القصيدة الكنائية التي تطالعنا في البيت الثاني

وَفَتىً اذا عَدوا السِنينَ فانَّهُم عدوا السنى فَكانَ الأَكبَرا

ان قراءة متأنية لهذا البيت تؤكد جمال الوحدة الفنية للقصيدة بوصفه معنى من معانيها , فالبيت يفصح عن كنايات عدة بسيطة, ومركبة قوله (فتى) هي كناية بسيطة عن الشاب الشجاع المقدام , اما الكناية الاخرى فهي في قوله (اذا عدوا السنين) وهي كناية عن مرور وقت طويل , وفترة من الزمن , في ضوءها نستنتج كناية اخرى , وهي كناية عن العلو , والفضل , والمجد , والمراد هنا ان الشاب لا يقاس بالزمن بل بما حققه من انجازات

اما قوله (كسبَ المَكارِمَ فاكتَساها لابِساً مُلكاً وَكانَت تُستَعارُ وَتُشتَرى)

ان المتمعن في هذا البيت من القصيدة يجده لا يبتعد في معناه عما قبله من معانٍ, بل جاء مكملا للمعنى وشكل جزأ مهما في بناء الوحدة العضوية للقصيدة, ومرتكزا في معناه على الكناية , اذ جاءت تفصح عن المكارم والاخلاق الحسنة لذا فهو (اكتساها) فقد حصل عليها بشكل كامل فلبسها كما يلبس الثوب , فهي جزء من شخصيته وهويته , فهناك تقابل معنوي , بين الفضائل التي كانت عرضه للاستعارة , او الشراء , ومرحلة اصبحت في الفضائل جزأ لا لايتجزء من حياته.

ويستطيع المتلقي ان يدرك كناية اخرى في قوله :

في وَجهِهِ اِجتَمَعَ الجَمالُ وَسَيفُهُ حَتفٌ وَكَفُّهُ غَيث الوَرى

في هذا البيت كناية بسيطة هي الوسامة , والرقة , والاشراق فضلا عن القوة , والبطش اذ عبر عنه (وسيفه حتف) ثم اردفها بكناية اخرى (وكفه غيث الورى) اي ان يده هي مصدر للكرم , والبذل , والعطاء , ورحمة , وعطف للإنسانية فقد شبهه بالمطر الذي يدرك الناس بعطاءه ليحييهم

وقوله في قصيدة اخرى:

سَيفٌ بجَفنكَ مُغمدٌ مَسلولُ ماضٍ عَلى العُشّاقِ وَهوَ كَليلُ

يَهوى مُضارَبَة الجَريح بحدّهِ وَيَهيمُ مِن شَغَفٍ بِهِ المَقتولُ

هَل عند مُعتَدِلِ القَوامِ لعاشِقٍ عَدلٌ وَهَل عِندَ الجميلِ جَميلُ

رَشأٌ بَخيلٌ بِالسَلامِ أُحبُّهُ ومن العَجائبِ أَن يُحبَّ بَخيل

وُمُعقرب الأَصداغ ما لِلَديغها راقٍ وَلا لِعَليلها تَعليل(23)

في هذه الابيات يستعين الشاعر بالصور البيانية , والصور البديعية , لتحقيق الكناية , إذ شبهه حدة عينه , وجمالها بالسيف إذ بان بريقه , ثم عضده بصورة بديعية أخرى هي التضاد بين ,(مغمد, مسلول) رآه مرة في جفنه وأخرى مسلول , وبالرغم من غمده يراه مسلولا, وهي كناية عن جمال العين , وحدتها وبريقها , وهي من الكنايات المركبة التي توصل اليها الشاعر بعد أن مهد لها , بالتشبيه , والتضاد , إذ ترك هذا السيف المكنى عنه بالعين الجميلة , اثرا واضحا , بينا بمن يراه , بالرغم من التعب , والاعياء , وما زالت معاناته مع من احب , مما يضطره إلى رسم صورة أخرى أكثر تأثرا بهيام الحب , فيقول:

يَهوى مُضارَبَة الجَريح بحدّهِ وَيَهيمُ مِن شَغَفٍ بِهِ المَقتولُ

وهي حالة من حالات الانكسار النفسي التي القت بظلالها على روح الشاعر التي عبر عنها بالقسوة , وبما يقابلها من الضعف , والاستسلام أمام مشاعر الهيام , والشغف المفرط , وهي كناية بسيطة , وواضحة , وقد دلت عليها الفاظ البيت الشعري بدون تكلف , او تعمق في التحليل , وتدل بشكل واضح عن صراع الشاعر مع رغبات نفسه , والتفاعل المعقد بين العواطف , والمواقف الصعبة , ونلمح كناية أخرى في البيت الرابع إذْ يقول:

رَشأٌ بَخيلٌ بِالسَلامِ أُحبُّهُ ومن العَجائبِ أَن يُحبَّ بَخيل

وهي كناية عن تقدير الشاعر للمحب بالرغم من بخله حتى في السلام , , يمضي أبن الدهان في بث شكواه وفق ما تجود به الصورة الكنائية , في ضوء ما يستشف من المعاني , والصور البديعية الواردة في البيت , كالجناس بين(بخيل , بخيل) و(احبه , يحب) , وفضلا عن ذلك نجده قد جمع بين صورتين متناقضتين : الأولى , صورة الانسان العاشق المحب , والصورة الثانية على النقيض من الصورة الأولى , تمثلت بصورة الإنسان المتمرد الرافض للأخر, إذْ اعطت هذه الأنماط المتناقضة , دلالات الصدق , والوفاء , كما اسهم الجناس في اضفاء مسحة جمالية على الممدوح, وزادها ايقاع جميل ((ومثل هذا كمثل الموسيقى حين تترد فيها انغام بعينها في مواضع خاصة من اللحن , فيزيدها هذا التردد جمالا وحسناً))(24) اذ وضف الشاعر القيمة الايقاعية للجناس, والقيمة الايقاعية لصوت(الغين , العين) لرسم الصورة الكنائية ودلالتها في قوله:

وُمُعقرب الأَصداغ ما لِلَديغها راقٍ وَلا لِعَليلها تَعليل

فالنغمة الايقاعية للجناس ينسجم مع ما يعانيه الشاعر من الالم الذي اكتوى منه, فضلا عن صوتي الغين , والعين المتكررين منحه بعدا دلاليا؛ لأن حرف الغين من الحروف التي تعد من حروف التفخيم وحرف العين يعد من حروف المنفتحة , فقد شبهه الاصداغ بالعقرب لالتوائها وهو من الانساق المضمرة التي تحتاج الى تركيز للوصول الى كنايتها لذا تعد من الكنايات المركبة والتي تعبر عن الجمال الذي يسطع منها , فالناظر اليها يصيبه الذهول والدهشة , فالصورتان متناقضتان وهما الصورة الاولى : صورة النسق المضمر , والصورة الاخرى هي صورة الناظر اليها , فقد استعان الشاعر بالصورتين للوصول الى الكناية المركبة , لتفصح عن مشاعره الوجدانية ((وتظهر قوة الشعر الكاملة في هذه الطاقة التي ينطوي عليها الصوت مشربا بالدلالة, وبقدر ما يكون هناك تجاوب صوتي فأنه يسهم في احداث موازنة سيميائية دلالية كما ان الجرس الموسيقي وهو يتشكل باندفاعات صوتية ذات صورة اكثر تعقيدا من الصوت المجرد فأنه يشتغل على تصوير فضاء المعنى, ويعمل ايقاع بوصفه المرحلة الصوتية الاكثر نضجا وصيرورة على دعم هذا الفضاء من خلال انتاج الفعل الصوتي في النص))(25) تكتمل الصورة الكنائية التي اشار اليها الشاعر في هذا النص من القصيدة.

وقوله في قصيدة اخرى

وَصفّق النهر وَالأَغصان قَد رَقَصَت فَنقَّطته بدرٍ مِن تراقيها

كَأَنَّما رَقصها أَوهى قَلائدها وَخانَها النَظمُ فِانثالَت لآليها

وَأَعين الماء قَد أَجرَت سَواقيها وَالأَعين النجل قَد جارَت سَواقيها

وَقابل الغصنَ غُصنٌ مثله وَشَدت أَقمارُها فأَجابتها قَماريها

فللحاظ وَللأسماع ما اَقترحت مِن وجه شاذنِها أَو صَوت شاديها(26)

في هذه الابيات من القصيدة وظف الشاعر اسلوبا شعريا كثف فيه الصور الفنية والمعاني الجمالية , فقد جسد النهر وهو يصفق صورة استعارية؛ اذ يمكن تصور النهر ككائن حي يصفق , وهنا خلق صورة حية ,وحركية اذ كنا بهذه الصورة عن الانسيابية والجريان السلس للماء, مع صفاءه , وعذوبة ماءه كأنه يشارك في الاحتفال او الفرح , وصورة استعارية اخرى منحها الشاعر للأغصان وهي ترقص وهي صورة كنائية اخرى كنى بها عن حركة نابضة بالحياة وفي البيت الثاني استعمل الشاعر التشبيه الاستعاري اذ ربط رقصة الاغصان بالقلائد, ,وهو نوع من انواع التشبيه ,إذ عزز من الفكرة الجمالية التي جسدتها الكناية , كما جسد تكرار الافعال الحركية مثل , رقصت , انثالت , على معنى الابيات نغمة وايقاعا عكس الحياة, والحيوية , وهي كناية مركبة رمز بها الشاعر الى مفاهيم اوسع مثل الحياة والطبيعة , مما نلحظ انسجام بين المشهد الطبيعي والجمال الايقاعي للكلمات.

وفي البيت الثالث كناية عن الفيض والغيض , ووفرة المياه فقد كثف الشاعر في هذه الابيات المعنى اذ اعطى العيون صفة الفاعلية وهي من الكنايات المركبة مما يوحي بأن هذه العيون كريمة بالعطاء , اذ ان الفعل سارت يظهر العيون كأنها تتحرك ,وهي كناية مركبة عن التدفق بطريقة هندسية ذات ايقاع جميل ((لأن اللفظ إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر, كان للنفس تشوق إليه ,وهو من الطف مجاري الكلام , ومن محاسن مداخله بل هو من الكلام كالغرة في وجه الفرس)(27) وفي الشطر الثاني من البيت وظف الشاعر كلمة سواقيها للعيون وهي استعارة وكناية عن مصدر الماء, والتدفق اذ منح العيون صفة المشاعر, وهي من صفات الانسان والدلالة في هذا البيت على الجمال وسعة العيون .

أما في البيت الرابع : وقابل الغصن غصن مثله وشدت أقمارها فأجابتها قماريها

فقد تجلى جمال الصورة الكنائية بما تحمله من معاني دقيقة تنم عن شعور متوقد ؛اذ جاءت في هذا النص جلية ومؤكدة , تتدفق عن جمال في التصوير ودقة في التعبير لاسيما حين عبر عن تمايل الاغصان الذي هزتها الريح فكانت كناية(عن موصوف) , والشطر الثاني هو كناية عن الصوت الجميل الصادر من الطيور وقد وظف بهذه الكناية الجناس بين اقمارها , وقماريها فأعطاها جرس ايقاعي ينسجم مع حالة النشوى التي يعيشها الشاعر وكأن هذه الجناسات قد انبعثت من فؤاد طرب و البيت الخامس فقد تصدرته الكناية عن طرف العين في قوله (فللحاظ) وهي كناية بسيطة يتمكن القارئ الوصول اليها بدون تكلف , او عناء ثم كنى في عجز البيت عن وجه الغزال , بلفظ شادنها , فقد جانس الشاعر بين الفظتين (شادنها, شاديها) كي يمنح النص بعدا دلاليا يعزز في ضوءه المعنى , الواسع للكناية ويمنحها ايقاعا مسموعا يظفي على النص حيوية ,واتساعا يركز في ضوءه البعد الدلالي للمعنى الكنائي في النص الشعري .

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة في عالم شعر ابن الدهان الموصلي انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج :-

- إن ابن الدهان الموصلي شاعر فذ امتلك , وبكل جدارة ادواته الابداعية في مجال الموهبة الشعرية , من ثقافة , ودراية تامة بأوضاع مجتمعه فضلا عن لغته الرصينة , وخيال واسع .

- مثلت الكناية في شعره ركنا اساسيا , هيمن على اغلب نصوصه الشعرية , إذ برع في توظيفها , حتى كان جمالها طاغيا على الألوان البيانية الأخرى .

- جاءت الصور الكنائية مكثفة في شعرة , حتى لا تكاد تخلو قصيدة من هذا الفن البياني.

- جاءت صوره الكنائية متعاضدة , ومتلازمة يكمل بعضها بعضا.

- عكست الصورة الكنائية , حالته النفسية التي عاشها في زمن ممدوحيه.

- جسدت الصورة الكنائية الزمن الذي عاشه الشاعر بكل تفاصيله

الهوامش

[1] - ديوان ابن الدهان الموصلي , 164.

[2] - عناصر الابداع الفني في شعر الاعشى , د. عباس بيومي عجلان ,64.
[3] - الديوان , 165
[4] - م,ن, 166.

[5] - الموقف والتشكيل الجمالي , د, النعمان القاضي , - ابو فراس الحمداني ر, 515.
[6] - الديوان , 162.
[7] - نظرية الأدب, رينيه ويليك , واوستن وارين ,188.

[8] - الديوان ,150.
[9] - انتاج الدلالة الأدبية , د. صلاح فضل , 131.

[10] - الديوان,152.
[11] - القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبني
الايقاعية , د. محمد صابر عيد , 9.
[12] - الديوان, 155.
[13] - اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري , د. محمد مصطفى هدارة ,503.
[14] - جماليات الصورة السمعية في شعر الشاب الظريف ,28, مقداد خليل قاسم الخاتوني .
[15] - م,ن,158.
[16] - منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري , د. قاسم البريسم , 46-47.

[17] - مفهوم الشعر , دراسة في التراث النقدي , د. جابر عصفور,208.
[18] - الديوان,162
[19] - الشعراء وانشاد الشعر , علي الجندي ,34.
[20] - الديوان,82.
[21] - م,ن, 51.
[22] - تمهيد في النقد الادبي , د. روز غريب , 179.
[23] - الديوان 86.
[24] - موسيقى الشعر ابراهيم انيس, 41.
[25] - القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية, د.محمد صابر عيد, 9.
[26] - الديوان 235.
[27] - فن البديع , د. عبد القادر حسين , 109.

المصادر والمراجع

- الجبوري , عبد الله, ديوان ابن الدهان الموصلي ,ابو الفرج مهذب الدين عبد الله بن اسعد الموصلي (581هـ), مطبعة المعارف , بغداد ,ط1, 1339هـ - 1968م.
- الجندي , علي ,الشعراء وانشاد الشعر , , دار المعارف – القاهرة ,1969.
- الحمداني, ابو فراس, النعمان القاضي , الموقف والتشكيل الجمالي ,د, دار الثقافة القاهرة ,1982.
- الخاتوني , مقداد خليل قاسم, جماليات الصورة السمعية في شعر الشاب الظريف (ت 886هـ) بحث منشور مجلة جامعة كركوك , الدراسات الانسانية , مجلد 16,العدد1, 2021م.
- انيس, ابراهيم, موسيقى الشعر , , مكتبة الانجلو, القاهرة ط7, 1997
- حسين , عبد القادر, فن البديع , دار الشرق, القاهرة, ط1, 1983.
- عجلان, عباس بيومي , عناصر الأبداع الفني في شعر الاعشى , , مؤسسة شباب الجامعة , القاهرة ,1985.
- عصفور , جابر , مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي , مؤسسة فرج للصحافة والثقافة , قبرص ,ط4, 1990.
عيد, محمد صابر, القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الايقاعية, , منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق , 2001م .
- فضل, صلاح , انتاج الدلالة الأدبية , , مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ,القاهرة ط1, 1978.

- هدارة, محمد مصطفى اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري , , دار المعارف , القاهرة (د. ط)1963م
- ويليك , رينية, واوستن دارين , نظرية الادب , , ترجمة محيي الدين صبحي , المجلس الاعلى لرعاية الفنون و الآداب , دمشق,1972.